المتاحف الأثرية المبكرة بالجزائر في ظلّ الاحتلال الفرنسي
ظروف نشأتها، أغراض استحداثها، إدارتها: دراسة تحليلية

شيبان يمينة و شرقي الرزقي

ملخّص: يتناول هذا البحث دراسة تحليلية للظّروف التّاريخية المواكبة لنشأة أول المتاحف الأثرية بالجزائر في ظلّ الاحتلال الفرنسي خلال القرن التّاسع عشر ميلادي؛ ولنصوصها التّشريعية المتعلّقة باستحداثها، وتنظيمها، وضبط مهامها، وسيّرها بوصفها أداة من الأدوات الموظّفة من طرف إدارة الاحتلال -آنذاك- في تمرير مشروع الاحتلال، ومحاولة التّمكين له بالبلاد.

كلمات مفتاحية: المتاحف؛ «مكتبة - متحف» مدينة الجزائر؛ متحف الجزائر باللّوفر؛ المقتنيات المتحفية.

Abstract: *This paper presents an analytical study of the historical conditions for the creation of the early archaeological museums in Algeria during the French occupation, the related legislative texts of the museums' creation, organization, functions and work as a tool employed at that time for passing the occupation project, as well as enabling it of the country.*

تمهيد

تعود نشأة جلّ المتاحف الأثرية الجزائرية لفترة الاحتلال الفرنسي (١٨٣٠-١٩٦٢)م، إلاّ إنّ ظروف نشأة أغلبها في غضون القرن التّاسع عشر ميلادي، يؤكّد بوضوح أنّها لم تكن موجهة لفائدة حفظ التّراث الأثري الجزائري، وخدمة مجتمعه ثقافيا في المقام الأوّل، كما يمكن أنّ يُستشف بوضوح من استقراء الظّروف العامّة المحيطة بذلك، وتحليل النّصوص التّشريعية المتعلّقة بإنشائها، وتنظيمها، وسَيّرها؛ إذ لم تتخلّص محاولات الإصلاح التّي تقدم بها المشرّع الجزائري على التّوالي سنوات (١٩٨٨[١]، ٢٠٠٧[٢]، ٢٠١١[٣]) م من كامل آثارها بعد. وعليه، يمكن الاستفسار عن خلفيات تشريع المتاحف الأثرية الجزائرية وأبعادها آنذاك؟ وانعكاساتها السّلبية على ممارساتها الوظيفية تجاه حماية التّراث الأثري وتثمينه، من جهة، وخدمة المجتمع الجزائري بالإسهام في نهضته الحضارية والثّقافية كمؤسسات ثقافية، تربوية، ترفيهية مسخرة لخدمة المجتمع وإمتاعه في الوقت الرّاهن، من جهة ثانية؟

فكرة إنشاء المتاحف الأثرية بالجزائر

تعود فكرة إنشاء أقدم متحف بالجزائر إلى نهاية سنة ١٨٣٣م، تاريخ مبادرة الملحق المدني بالجزائر السّيد: «بروسون ستانيلا» (BRESSON STANISLA)[٤] إلى اقتراح فكرة إنشاء متحف بالجزائر على وزير الحرب في طاقم الحكومة الفرنسية، المشير «سول، جين دو ديو» (SOULT, JEAN DE DIEU)[٥]، وتمكّنه من إقناع السَلطات الفرنسية بضرورة تنفيذ مشروعه، وقد صدر قرار التّأسيس في ٥ نوفمبر ١٨٣٥م (MARYE & WIERZEJSKI, 1899: 10)، فيما تأخّر تجسيد القرار ميدانيا إلى شهر يناير من عام ١٨٣٨م (BERBRUGGER, 1856: 6)؛ تاريخ إلحاق مقرّ المتحف المستحدث بمقرّ المكتبة المنشأة في عام ١٨٣٥م (BERBRUGGER, 1861: 6 - 8)، وصهر تسمية المنشأتين منذ ذلك الحين في اسم مركب واحد، ألا وهو: «مكتبة - متحف»[٦] مدينة

الجزائر (BERBRUGGER, 1861: 9 - 10). بوصفهما منشأتين متكاملتين وظيفياً؛ وقد أُسندت مهمة جمع المخطوطات المحلّية، وبقية الوثائق المدوّنة وأرشفتها لجناح المكتبة؛ فيما أُسندت مهمة إيداع، الأرشيف المادي المتعلّق بالإنسان الجزائري، وتاريخ حضارته العريقة وتخزينه لجناح المتحف المذكور.

خطوة مبكّرة، سرعان ما ثمّنها، وعزّزها مسعى أحد ضبّاط جيش الاحتلال الفرنسي صبيحة انطلاق حملة «الاستكشاف العلمي» للجزائر (١٨٤٠ - ١٨٤٥)م في شهر يوليو من عام ١٨٤٠م، بصفته عضوّا في طاقم تلك الحملة[٧]، ألا وهو النّقيب «كاريت» (CARETTE)[٨]، ومفاده ضرورة تعميم ظاهرة تأسيس المتاحف الأثرية المحلّية عبر مختلف أنحاء الجزائر، إلاّ إنّ فكرته لم تُؤخذ على محمل الجدّ، وعُدّت بمثابة فكرة سابقة لأوانها، رغم تنامي الكشوف الأثرية يوميا بكمّيات هائلة (KOUMAS & NAFA, 2003: 59)؛ واستمرّ الوضع على حاله إلى غاية ٣١ ديسمبر ١٨٥٨م، تاريخ صدور المنشور الوزاري، الموقّع باسم الأمير «نابليون جيروم» (NAPOLEON JEROME)[٩]، القاضي باستحداث المتاحف المحلّية[١٠]، وحماية الآثار القديمة في مواقعها الأصلية بالجزائر، وإعادة تقنين إجراء الحفريات الأثرية هناك (KOUMAS & NAFA, 2003: 60, OULEBSIR, 2004: 132).

المراحل التّمهيدية لتطوّر تشريع المتاحف في ظلّ الاحتلال

يمكن اختزال أبرز المحطات التّاريخية الممهدة لبناء المنظومة التّشريعية المنشئة، والمنظمة لإدارة المتاحف الأثرية المبكرة بالجزائر خلال القرن التّاسع عشر ميلادي في ثلاث مراحل أساسية، هي:

أ) المصادرة وإصدار رخص التّنقيب عن الأغراض الثّمينة لتجّار التّحف الفنّية والقطع الأثرية:

أقدمت فرنسا على احتلال مدينة الجزائر في صائفة ١٨٣٠م، ولم تكن ساعتها متأكدّة من البقاء هناك لمدّة طويلة بسبب ظروفها الدّاخلية المضطربة من جهة، وغياب رؤية استشرافية واضحة المعالم حول تلك العملية، سبب تسميتها من طرف مسؤوليها السّامين بمصطلح «حملة»، فقد بقيت آراؤهم منقسمة بين ثلاث رؤى متضاربة: أمّا الرّأي الأوّل فقد فضّل المرافعة عن فكرة الاكتفاء باحتلال مدينة الجزائر العاصمة للثّأر من آخر دايات الجزائر لشرف فرنسا، المدنس بفعل «حادثة المروحة»[١١]؛ وأمّا الرّأي الثّاني فقد دافع عن فكرة الاحتلال النّوعي لأبرز مدن ساحل الجزائر، وذلك بإشراك بعض البلدان الأوروبية الأخرى، مثل بريطانيا، وإسبانيا للاستقواء بهما؛ فيما رأى أصحاب الرّأي الثّالث ضرورة الانفراد بالاحتلال الشّامل للجزائر، وكان هو الرّأي المنتصر في نهاية المطاف بعد جدل شاق وطويل، استمرّ إلى غاية ٢٢ يوليو (١٨٣٤)م، تاريخ صدور المرسوم الملكي القاضي بضمّ الجزائر رسميا إلى فرنسا، إذ تزعم هذا التّيار السّياسي والعسكري، أحد كبار القادة العسكرين النّافذين، المُشير «توماس روبير بيجو» (BUGEAUD THOMAS ROBERT)، الذّي خلف سابقه «بارتروند كلوزال» (CLAUZEL BERTRAND) على إدارة شؤون الاحتلال والتّمكّين له بالجزائر (بوعزيز، ٢٠٠٧: ٨).

ففي خضم هذه الظّروف التّاريخية، كان قادة الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر يعدّون كنوز التّراث الأثري الجزائري بمثابة «غنيمة حرب»، وجب الاستحواذ عليها بأيّة وسيلة كانت، لتزيين مساكنهم الخاصّة، أو المتاجرة فيها على الصّعيد الشّخصي، أو إثراء مجموعات بعض المتاحف الفرنسية المتخصّصة بمقتنيات جديدة لإعلاء شأنها، كقوّة استعمارية صاعدة على نسق ما كان يفعل الجيش الرّوماني قديما (شرقي: ٢٠١٤، ٤٩ – ٥٠؛ OULEBSIR, 2000: 76 - 82).

ولعلّ ممّا أذكى في نفوسهم تلك الرّغبة، هو اشتهار «مدينة القراصنة»، نعتهم المُهين لمدينة الجزائر في المِخْيال الغربي السّاذج بوفرة كنوزها الثّمينة، المكتسبة من عمليات «الجهاد البحري» على مدار بضعة قرون كاملة، والمحتمل اخفاؤها بعناية فائقة داخل جدران

مبانيها، أو دفنها بأراضي حدائقها، كما يؤكّده إقدام اللّواء «بَارْتِزان» (BERTHEZENE)، حاكم مدينة الجزائر في تلك الأثناء على منح «رخص التّنقيب عن الأغراض الثّمينة» (FOUILLES POUR LA RECHERCHE D'OBJETS PRECIEUX) في مساكن، المدينة وحدائقها، منها رخصة صادرة باسم شخص يُدعى «إسّباس» (ESPES)، مؤرّخة في ٢٤ أغسطس ١٨٣١م، تنصّ على إجراء تنقيبات في المباني، والحدائق المصادرة من قبضة ملاّكها الأصليين لفائدة قوّات الاحتلال (OULEBSIR, 2000: 153; CAOM F80 1587)، ورخصة ثانية باسم تاجر التّحف الفنّية والقطع الأثرية «تشافي» (SCIAVI) (BERBRUGGER, 1861: 12).

لكن هذه المرّة بشكل أكثر وضوحا في مسألة تقاسم الكنوز المحتمل اكتشافها بين المنقّب من جهة، والإدارة العسكرية للاحتلال من جهة ثانية، ومالك العقار، أو المبنى من جهة ثالثة؛ وذلك وِفْق الصّيغة الآتية: إذا ما وُجدت المكتشفات على الأراضي الحكومية (الأراضي المغتصبة من أصحابها)[١٢]، فإنّها تُقسّم مناصفة بين المُنَقّب، والإدارة العسكرية، أمّا إذا عُثر عليها في عقار، أو مبنى خاص (الممتلك المحلّي المحوّل لفائدة أحد المعمرين الفرنسيين)، فثلث منها يؤول للمنقّب، وثُلُث للإدارة العسكرية، وثلث لمالك العقار، أو المبنى (OULEBSIR, 2000: 153).

والجدير بالذّكر، أنّ إدارة الاحتلال الفرنسي، ظلّت تتعامل بهذا النّوع من الرّخص الموثّقة في حوليات النّصوص التّشريعية المتعلّقة بمستعمرة الجزائر (COLLECTION DES ACTES: 1843, 116, 155 - 156)؛ وكذا وثائق أرشيف الحكومة العامة بالجزائر (GGA)، المحفوظة حاليا بمركز ما وراء البحر (CAOM)، الواقع بمدينة «آكس أون بروفونس» (AIX-EN-PROVENCE) بأقصى جنوبي فرنسا[١٣]، طيلة الفترة الممتدة ما بين سنتي (١٨٣٠ – ١٨٣٤)، تاريخ إقدام «أكاديمية الكتابات والآداب الرّفيعة» (DES INSCRIPTIONS & BELLES LETTRES CADEMIE) الفرنسية على رفع توصيات تقريرها، المنبثق عن مداولات جلستها المنعقدة في

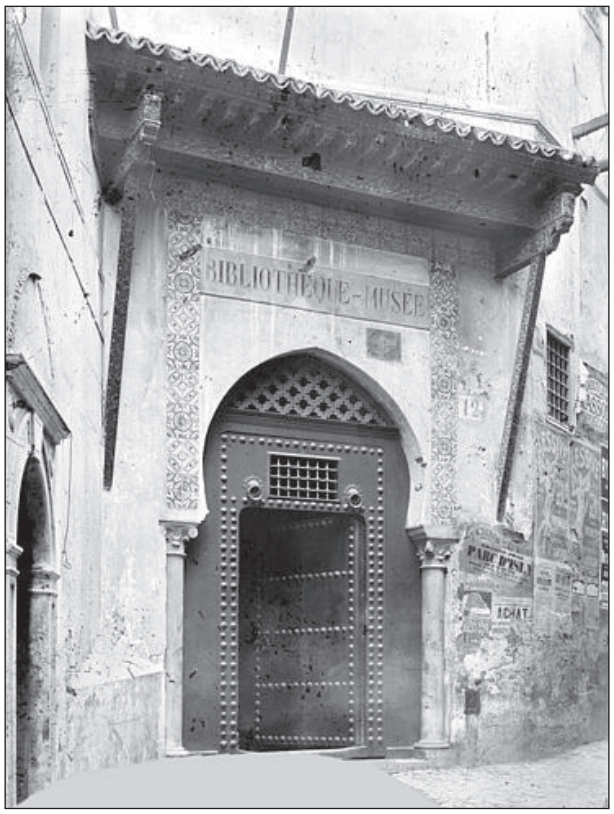

اللوحة ١: آخر مقرّ لمكتبة - متحف مدينة الجزائر بالقصبة السّفلى، زاره الإمبراطور

٢٦ أبريل ١٨٣٣م للحكومة الفرنسية، فقد شجبت فيه بقوّة قرارات منح رخص التّنقيب والبحث عن «الأغراض الثّمينة» بغير وجه حقّ من طرف حاكم مدينة الجزائر اللّواء «بَارْتِزان»، ما أدى فيما يبدو إلى اختفاء هذا النّوع من الرّخص في الأرشيف الفرنسي ابتداءً من سنة ١٨٣٤م (DONDIN PAYRE: 1994, 17 - 18).

ب) تكوين متاحف لغنائم الحرب: أفضت عمليات جمع القطع الأثرية، وتحف الفنون التّطبيقية بمختلف الطّرق إلى تكوين مجموعات أثرية، وفنّية، واثنوجرافية في منتهى الأهمية، سرعان ما بادرت إدارة الاحتلال الفرنسي للاستفادة منها، وتوظيفها في خدمة مشروع احتلالها للجزائر، إذ اتخذتها على الصّعيد المحلّي كوثائق أرشيفية مادّية لدراسة كُنْه المجتمع الجزائري، ودراسة ما كانت تزخر به بلاده من ثروات طبيعية، ووضعها في متناول الباحثين الفرنسيين، المرافقين للحملة العسكرية، المكلّفين بمهام خاصّة في هذا

النّسق العام من مدنيين، وعسكريين على حدّ سواء بداخل متحف خاصّ، يمكن عدّه من هذا المنظور بمثابة «مركزًا لحفظ الأرشيف المادّي» حول «الأهالي» وتاريخهم.

الفرنسي «نابليون الثالث» في ربيع ١٨٦٥م، وهو اليوم مقرّ «المتحف العمومي الوطني للمنمنمات»؛ مصدر الصّورة الأرشيف الرّقمي للمكتبة القومية الفرنسية (BNF).

إذ تعد «مكتبة – متحف» مدينة الجزائر (اللوحة ١)، أبلغ دليل على ذلك (OULEBSIR, 2004: 126)، حيث كانت تستقبل، وتُجمّع المخطوطات، والوثائق، والكتب النّادرة، المصادرة عنوة من قِبل فلول الحملات العسكرية الفرنسية عبر مختلف أرجاء الوطن، وحفظها هناك بالقسم المخصص للمكتبة على هامش ما تمّ اتلافه حرقا، أو تحويله إلى خارج البلاد خلسة (أبو القاسم، ١٩٩٢: ٩٠؛ شرقي، ٢٠١٣: ١٨٨)؛ كما كانت تستقبل بموجب البرقيتين المؤرّختين على التّوالي: ٢٢ يناير، و٦ فبراير ١٨٤٤م، الصّادرتين عن مدير الدّاخلية الفرنسية بباريس، المؤكّدتان على أنّ بقايا الآثار القديمة في الجزائر هي ملكية فرنسية بموجب أحكام القانون الفرنسي، وجب إيداعها بـ«مكتبة – متحف» مدينة الجزائر باستثناء الآثار الواقعة تحت تعليمات مخالفة لذلك (KOUMAS & NAFA, 2003: 60) –إشارة ضمنية لاستثناء الآثار المعتزم تحويلها إلى فرنسا– كالمجموعات الأثرية القديمة، ولوحات الفسيفساء، وشواهد التّاريخ الطّبيعي المحلّي لحفظها بقسم المتحف، حيث كان آخر مقرّ له، قصر «مصطفى باشا» بالقصبة السّفلى (اللوحة ١) (BERBRUGGER, 1861: 8)؛ قبل أن يتحوّل إلى مصدر اقتباس واستلهام لتأسيس بقية المتاحف الأثرية، والفنيّة، والتّاريخية عبر كامل ربوع البلاد.

أو اتخاذها فيما يبدو، كأداة دعائية لإنجازات حركة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، أمام الرّأي العام الدّاخلي الفرنسي، النّاقم على ما آلت إليه ظروفه الاقتصادية، والاجتماعية المزرية في ظلّ حكم الملك «شارل العاشر»، المُطاح به في شهر أغشت ١٨٣٠م، وخليفته من بعده على العرش، الملك «لويس فيليب» المطاح به هو الآخر بدوره في شهر فبراير ١٨٤٨م في إثر اندلاع ثورة شعبية عارمة سنة ١٨٤٧م، ومحاولة تهدئة الأوضاع، وامتصاص الاحتقان الشّعبي بالتّركيز على ما سوف تغدق به المستعمرة الجديدة من خيرات للفرنسيين المقيمين بفرنسا، والرّاغبين في استيطانها مستقبلا، كما يمكن أن يُستنبط من تنظيم المعارض الدّعائية الدّورية للإمكانيات الاقتصادية التّي تتمتّع بها مستعمرة الجزائر في فرنسا.

ويؤكّده استحداث جناح خاص بآثار الجزائر إلى جانب الآثار الفرعونية بمتحف اللّوفر (LOUVRE) باسم «متحف الجزائر» (MARYE & WIERZEJSKI, 1899: 10)، فقد بدأ التّمهيد له بمعاينة الآثار الجزائرية عن قرب، ومحاولة جرد كنوزها بتوجيه من «أكاديمية الكتابات الأثرية والآداب الرّفيعة»[١٤]، والتّي كانت وراء قرار إرسال نخبة من الباحثين المحترفين لتوثيق وجرد أبرز المعالم التّاريخية، وأهم المجموعات الأثرية الجزائرية، والتّكفّل بتحويل بعضًا منها نحو فرنسا مع نهاية سنة ١٨٣٣م.

إذ يمكن إدراج في هذا النّسق العام كلّ من مهمة الرّسام «دوزَا» (DAUZATS)، الموثّق لرحلة الدّوق «أورليون» (ORLEANS) في جولته الاستعراضية برّا من قسنطينة شرقا في تجاه مدينة الجزائر العاصمة، بُعَيْد احتلال تلك المدينة سنة ١٨٣٧م، مرورا بوادي العثمانية، أحد المواقع الأثرية الرّومانية القديمة المهمّة بشرق البلاد في ولاية ميلة، ومدينة جميلة الأثرية بولاية سطيف حاليا، ومضيق «بيبان الحديد» شمال غربي ولاية برج بوعريريج، تمهيدا لرسم ملامح خط سكّة حديدية يربط بين المدينتين، فقد اتفق الدّوق المذكور مع وزارة الحرب على تأسيس مجموعة متحفية خاصّة بالجزائر في فرنسا (KOUMAS & NAFA, 2003: 27; OULEBSIR, 2004: 29 - 44, 79)، وهو ما ترجمه على ظهر الواقع، القرار القاضي بنقل أبرز القطع الأثرية الجزائرية إلى

الشّكل ١: إعادة تصوّر قوس نصر مدينة «جميلة» الرّومانية كاملا، إنجاز المهندس المعماري «أمابل رافوازيه»، نقلا عن «نبيلة أولبصير».

فرنسا، الصّادر عام ١٨٣٩م، إذ كان من جملة ما حُوِّل فسيفساء موقع وادي العثمانية الجميلة في مقابل فشل محاولة نقل قوس النّصر بمدينة «جميلة» (الشّكل: ١) بسبب وقوعه في منطقة جبلية وعرة للغاية، حال بينهم وبين نقل قطعه المفكّكة إلى ميناء بجاية، أقرب ميناء بحري إليه (OULEBSIR, 2004: 77 -79, 126).

ممهدا بذلك الطّريق أمام قراريّ المشير «بيجو» (BEGEAUD)، القاضيين بتحويل تُحف نتاج الفنون التّطبيقية، والآثار الجزائرية إلى فرنسا، وهما: منشور ٢٦ أغشت ١٨٤٥م، المتعلّق بحماية المجموعات الأثرية الموجهة لجناح الآثار الجزائرية المستحدث على مستوى «متحف اللّوفر بباريس (BERBRUGGER, 1856: 7)، ومنشور ٠٤ سبتمبر من ذات السّنة، القاضي بجمع التّحف الفنّية، والأسلحة التّقليدية، ومنتجات الفنون التّطبيقية، والحرف التّقليدية الجزائرية، الموجهة للعرض بمتاحف فرنسا، فقد أشار المنشور إلى ضرورة جمع المجموعات الأثرية، وإرسالها إلى مديرية الدّاخلية بمدينة الجزائر العاصمة، مكان تخصيصها بمستودعات مؤقتة في انتظار الفراغ من جمعها، ثمّ مباشرة عملية تحويلها إلى باريس في شحن بحرية متتابعة (OULEBSIR, 2004: 155).

علما أنّ، كمّية ليست قليلة من تلك القطع الأثرية، والتّحف الفنّية، والكنوز الاثنوجرافية، لم تصل إلى المتاحف الفرنسية أصلا، كما كان مقرّرا لها، وإنّما تمّ تحويلها في منتصف الطّريق إلى أغراض شخصية أخرى (OULEBSIR, 2004: 127 - 128).

وإلى جانب هذه المهام الرّامية إلى تجريد الجزائر من كنوز تراثها الثّقافي الزّاخر، كانت هناك بعض المهام ذات الصّبغة العلمية الخالصة، كمهمة «المفتش

المخطط ١: مشروع إعادة تأهيل المعلم التّاريخي «البريتوريوم» كمقرّ متحف أثري، إعداد «تيكسيي»، أرشيف الحكومة العامة بمدينة «آكس أون بروفونس»، صورة لم يسبق نشرها للباحثة «شفيقة بوعرعور».

اللوحة ٢: منظر الواجهة الرّئيسية لمعلم «البريتريوم».

العام للمباني المدنية بالجزائر»، المكلّف بحفظ المعالم التّاريخية طيلة الفترة الممتدّة ما بين سنتي (١٨٤٥ – ١٨٥٣)، الأثري «تيكسيي شارل فيليكس ماري» (TEXIER CHERLES FELIX MARIE)[١٥]، صاحب مشروع إعادة تأهيل مبنى «البريتوريوم» (PRAETORIUM) (المخطط: ٠١)، مقرّ إقامة القائد العام للفرقة العسكرية الأغسطسية المساعدة الثّالثة في الجيش الرّوماني بشمال إفريقيا في معسكر «لومبيز» بمنطقة الأوراس المنيعة، واتخاذه كمقرّ لمتحف أثري محلّي خاصّ بآثار تلك المدينة الأثرية القديمة (الصّورة: ٠٢) (OULEBSIR, 2004: 162, 164, 342 - 343)؛ أضف إلى ذلك قيامه بعمليات جرد وإحصاء لعدد معتبر من المعالم التّاريخية والمواقع الأثرية القديمة بشمالي البلاد (TIXIER, 1846: 724 - 735; IDEM, 1848: 129 - 135). ومهمة المفتش العام للمعالم التّاريخية بفرنسا السّيد «بروسبير ميريمي» (PROSPER MERIMEE)[١٦]، سنة (١٨٤٧)م (OULEBSIR, 2004: 155).

قائد الفرقة العسكرية الأغسطسية المساعدة الثّالثة من الجيش الرّوماني بشمال إفريقيا في معسكر «لومبيز» الأثرية، ساعة تحوّيله إلى متحف، نقلا عن: «سيرُو جورج».

ج). من المصادرة إلى تَقْنين حقّ الدّولة الفرنسية في امتلاك آثار الجزائر المستعمرة: أصدرت فرنسا في يوم ٢٩ ديسمبر سنة (١٨٤٧)م قرارا ينصّ على حقّ الدّولة الفرنسية في امتلاك الآثار الجزائرية بمختلف قنوات الاقتناء المتاحة، وتولّي شؤون جمعها وتخزينها (BERBRUGGER, 1861: 16; KOUMAS & NAFA, 2003: 27; OULEBSIR, 2000: 356)، حيث استقبل الحاكم العام الفرنسي بالجزائر المشير «روندون» (RANDON) آنذاك برقية رسمية من وزير الحرب في تلك السّنة (١٨٤٧)م، يحثّه فيها على ضرورة استحداث «مخازن خاصّة» (LOCAUX SPECIAUX) لإيداع المقتنيات الموجهة مستقبلا لتكوين مجموعات متحفية، وضرورة تكليف شخص مؤهّل للاعتناء بها، وتوفير لها ما تحتاج إليه من ترتيب، وجرد، وغيره من الإجراءات

اللوحة ٣: منظر عام لمتحف شرشال من داخل فنائه المركزي، نقلا عن: «ألبوم البطاقات البريدية المخصصة للاحتفال بالذّكرى المئوية للاحتلال الفرنسي (١٨٣٠ – ١٩٣٠).

التّقنية؛ فضلا عن اقتطاع ميزانية خاصّة بتسييرها من الميزانية العامّة، المخصصة للبلديات (ESQUER, 1856: 194)؛ فيما أُسندت مهمة إدارتها والإشراف عليها إلى «المفتش العام للمباني المدنية» (BERBRUGGER, 1861: 15).

النّصوص التّشريعية الخاصّة بإنشاء المتاحف الأثرية في الجزائر:

بعد تأسيس «مكتبة – متحف» مدينة الجزائر في سنة (١٨٣٥)م (اللوحة ١)[١٧]، ظهر متحف شرشال (اللوحة ٣) في سنة (١٨٤٠)م (GAUCKLER, 1895: 5)، حيث لاق معارضة شديدة من محافظ المتحف الأوّل «أدريان، بيربروغر» (BERBRUGGER ADRIEN) (اللوحة ٥)[١٨] لاعتقاده الواهي بأنّ المتحف الجديد سوف يحول بينه وبين تحقيق مشروعه الرّامي إلى ترقية «مكتبة – المتحف» مستقبلا إلى «متحف مركزيّ» لشمل أبرز آثار القطر الجزائري برمّته، واختيار له مدينة الجزائر العاصمة كمقرّ له (OULEBSIR, 2004: 108).

ممهدا بذلك الطّريق لظهور المتاحف المحلّية المماثلة عبر مختلف أرجاء البلاد، مثل متحف مدينة «سكيكدة» (OULEBSIR, 2004: 106 - 107)، وغيره كما تؤكّده المجموعات الأرشيفية الخاصّة بالحكومة العامّة

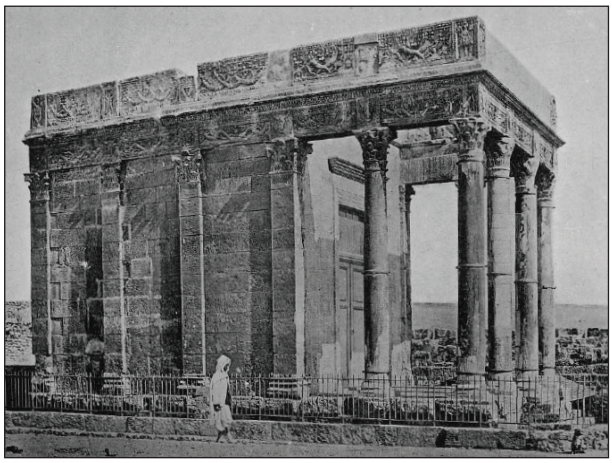

اللوحة ٤: المعبد الوثني الرّوماني المكرس لعبادة «مينيرفا»، المحول إلى مقرّ متحف بمدينة تبسة بعد عملية ترميمه في ظلّ الاحتلال، نقلا عن: «ستيفان كزيل».

للجزائر، المحفوظة اليوم بمركز أرشيف ما وراء البحر في مدينة «آكس أون بروفونس» بجنوب فرنسا (CAOM, F80: 1587, 1588, 1589)، وثمّنه استمرار ظهور عشرات المتاحف الأثرية المحلّية تِباعا في تلك الفترة الزّمنية المبكّرة من تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، كمتحف الموقع الأثري «لومبيز» (اللوحة ٢)، ومتحف جميلة، ومتحف تيمقاد، ومتحف تبسة (اللوحة ٤) على سبيل الذّكر لا التّخصيص والحصر.

لاسيما بعد إجراءات تعديل تركيبة طاقم الحكومة الفرنسية في نهاية خمسينيات القرن (١٩)م، إذ تمّ استحداث حقيبة وزارية جديدة، ألا وهي: «وزارة الجزائر والمستعمرات» (١٨٥٨م - ١٨٦٠م)، وإسناد إدارتها للأمير «نابوليون جيروم» (DAILHEU, 1901: 60)، صاحب القرار الوزاري، المؤرخ في ٣١ ديسمبر (١٨٥٨)م، الذّي جاء كاستجابة مباشرة للدّعوات المندّدة بما كان يتعرض له التّراث الأثري الجزائري من تلف وتشويه (KOUMAS & NAFA, 2003: 60)؛ وفي ذات الوقت حثّه على تأمّين متحف شرشال وترقيته (اللوحة ٣) في سبيل منع إجراء نقل آثار تلك المدينة الأثرية إلى متحف مدينة الجزائر، أو متحف اللّوفر، كما كان مخططا له (OULEBSIR, 2000: 356).

وهو قرار وزاري، عكس إلى حدّ بعيد التَوجه الجديد للإدارة العسكرية الفرنسية في مجال تسيير واستغلال التّراث الأثري الجزائري وقتها، القائم على مقاربة حفظ البقايا الأثرية في مكانها الأصلي، ممّا رفع من شأن تلك المتاحف المحلية الحديثة النّشأة، خصوصا بعد إسناد مهمة تطبيق مضامين ذلك القرار للبلديات، المخولة قانوناً لحماية التّراث الأثري، وجمع ما تفرّق منه على مستوى مقاطعاتها الإدارية المحلّية، وتكوين مجموعات خاصة للعرض المتحفي.

وهو ما دفع بها للاستعانة في هذه المهمة الشّاقة بالجمعيات العلمية المحلّية (SOCIETES SAVANTES)، شأن جمعية قسنطينة، المعروفة باسم «الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة»، المستحدثة عام (١٨٥٣)م، حيث يعود لها شرف تأسيس «متحف كِرْتَا» (المتحف الوطني العمومي سيرتا حاليا) في سنة (١٨٥٦)م، وجمعية وهران الموسومة بـ: «جمعية جغرافية وآثار وهران»، منشئة متحف وهران (المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة حاليا) في سنة (١٨٧٨)م، وتعيين لها محافظين مؤهلين لإدارتها، ورعايتها (OULEBSIR, 2000: 357).

النّصوص التّشريعية المنظمة لمهام المتاحف الأثرية بالجزائر في ظلّ الاحتلال

تمحورت القرارات الإدارية، والنّصوص التّشريعية المتعلّقة بتنظيم المتاحف الأثرية المبكرة في الجزائر، وضبط مهامها خلال عقد خمسينات القرن التّاسع عشر (١٩) ميلادي على وجه الدّقة والتّحديد في أربع نقاط رئيسية، هي:

أوّلا: تأكّيد ملكية الآثار الجزائرية للدّولة الفرنسية المحتلّة للمرّة الثّانية، ممّا استوجب ضرورة وضع حدّ لهدرها واستنزافها، فقد جاءت برقية بتاريخ ٤ يونيو ١٨٥١م، الموجهة من الحكومة الفرنسية للحاكم العام بالجزائر، المشير «روندون» آنذاك لدعم، وتثمين أحكام قرار ٢٩ ديسمبر ١٨٤٧م، القاضي بضرورة إيداع كلّ ما اُكتشف من آثار في متحف مدينة الجزائر، ما لم تكن مُرْفقة بأحكام مخالفة، أي أحكام تحويلها نحو فرنسا (KOUMAS & NAFA, 2003: 60).

اللوحة ٥: صورة «أدريان بيربروغر»، نقلا عن الموقع الإلكتروني الخاص بالمكتبة القومية الفرنسية.

ثانيا: منشور المشير «روندون» نفسه، الصّادر في ١٥ نوفمبر (١٨٥٤)م، الموجه إلى مختلف المسؤولين العسكريين والمدنيين المنتشرين عبر مختلف أنحاء الجزائر، إذ حثّهم فيه على ضرورة توضيح كمّية، وقيمة المكتشفات الأثرية، تمهيدا لعملية إحصائها وتصنيفها، وتقرير مكان حفظها، وتحديد المعالم التّاريخية، والمباني القديمة الشّاغرة قصد إعادة تأهيلها، واتخاذها كمقرّات لمتاحف أثرية محلّية جديدة، شأن معلم «البريتوريوم»، مقرّ إقامة قائد الفرقة الأغسطسية المساعدة الثّالثة بمدينة «لومبيز» الأثرية (اللوحة ٢)؛ ومعبد «مينيرفا» الوثني الرّوماني بمدينة تبسة (اللوحة ٤)؛ وكذا دعم وتثمين مقتنيات «مكتبة – متحف» مدينة الجزائر (اللوحة ١) بمقتنيات جديدة، قصد ترقيته في المستقبل القريب إلى مصاف «متحف مركزي للجزائر» (OULEBSIR, 2004: 108).

ثالثا: استحداث ولأوّل مرّة في تاريخ المتاحف الأثرية الجزائرية سنة (١٨٥٤)م، هيئة سامية تختصّ بإدارة المتاحف والمعالم التّاريخية دون سواهما، عُرفت باسم «المفتشية العامّة للمعالم التّاريخية والمتاحف الأثرية»، بعدما كانت تلك المتاحف والمعالم تابعة لمصلحة «المباني المدنية»، إحدى فروع «الهندسة العسكرية»، وإدارة مفتشها العام، وتعيين على رأس تلك الهيئة الفتية الباحث الفرنسي «أدريان، بيربروغر» (١٨٠١ – ١٨٦٩) (اللوحة ٥) برتبة «مفتش مقيم بالجزائر» (BERBRUGGER, 1861: 15; OULEBSIR, 2004: 106).

رابعا: إعداد جرد عام للمجموعات الأثرية والمقتنيات المتحفية، فعلى غرار المهام التّي أُكِلت من قبل للضّابطيْن العسكرييْن في فرقة المدفعية النّقيب «أزيما دو مونغرافيي» (AZEMA DE MONTGRAVIER)، صاحب أوّل خارطة أثرية في الجزائر، منجزة بين سنتي (١٨٣٥ – ١٨٤٧)م، إذ غطّت فضاء عمالة وهران (ولاية الغرب الجزائري)، والنّقيب «أدولف دولامار»، والمهندس المعماري «أمابل رافوزيه»، والأثري «شارل تكسيي» بشأن جرد المعالم التّاريخية، والمواقع الأثرية القديمة عبر العَمَلات (الولايات) الثّلاث في البلاد خلال عقد أربعينيات القرن (١٩)؛ كُلّف «أدريان، بيربروغر» بموجب صفته الوظيفية، كمفتش عام لمتاحف الجزائر بإعداد جرد مفصّل مماثل حول المقتنيات المتحفية (OULEBSIR, 2004: 108)، كما جسّدته سلسلة مدوّنات متاحف الجزائر وتونس، الواقعة في ٢٨ مجلّدا.

الأبعاد المبطّنة للمنظومة التّشريعية المستحدثة للمتاحف الجزائرية في ظلّ الاحتلال:

صرّح السّيد «لويس ليتشي» (LESCHI. LOUIS)، رئيس «الجمعية التّاريخية الجزائرية»، ومدير الآثار القديمة بالجزائر ذات مرّة قائلاً: «أنّ البحث الأثري في الجزائر، هو بمثابة أداة من الأدوات المسخّرة في حرب فرنسا على الجزائر، انطلاقًا من تأسيس المتاحف» (LESCHI, 1945: 133). موجزا بذلك على مرّة واحدة غاية البحث الأثري الفرنسي حول الآثار الجزائرية؛ وجدوى استحداثه لمتاحف تحفظها؛ وبيان أسس «المدرسة الاستعمارية» في تناول التّاريخ المحلّي عبر العصور من أجل تمرير مشروعها «الإمبريالي»، حيث يمكن اختزاله في النّقاط السّريعة الآتية (شرقي، ٢٠١٦: ١٤٣):

أوّلا: تمديد مفهوم الوثيقة التّاريخية إلى الوثيقة المادّية (الآثار) لسبر كُنْه الفترات الزّمنية السّحيقة من تاريخ المجتمع الجزائري عبر العصور، كالفترة القديمة، وفترة فجر التّاريخ، وفترة العصور الحجرية بوصفها الشّاهد المادّي الوحيد في غياب «الوثيقة المدوّنة»، والشّهادة الحيّة».

ثانيا: اسقاط مفهوم «الدّولة القومية» الأوروبية المعاصرة على «الحادثة»، أو «الواقعة التّاريخية»، أثناء تقصي حوادث التّاريخ المحلّي للأهالي، المفضي في نهاية المطاف إلى نفي وجود «دولة» بالمفهوم الغربي للمصطلح. أي نفي في مقابل ذلك صفة «الاحتلال» لصورة الوجود الفرنسي بالجزائر، ومحاولة إضفاء عليه صبغة «التّعمير»، أو «الاستيطان»، كما كرّسه قرار «الجمعية الشّعبية الفرنسية» في قانونه الممجد للاحتلال الفرنسي شهر فبراير (٢٠٠٥)م.

ثالثا: النّتيجة، ومفادها أنّ التّاريخ المحلّي، تاريخ دوراني متعثّر، قوامه صراعات قبلية متناحرة فيما بينها على الصّعيد الدّاخلي، واحتلالات متتالية منذ فجر التّاريخ على صعيد التّنافس الخارجي، كالاحتلال الفينيقي، والاحتلال الرّوماني، والاحتلال الوندالي، والاحتلال البيزنطي، والاحتلال العربي-الإسلامي، والاحتلال العثماني، والاحتلال الإسباني، أي بعبارة أوضح محاولة إيجاد مبرّر تاريخي للاحتلال الفرنسي المعاصر، القادم بِقِيَم حضارية جديدة للشّعب الجزائري حسب زعمه المغرض.

رابعا: سجن، أو تقييد «الذّاكرة الشّعبية الجزائرية المشتركة» في قفص، ألا وهو «المتحف»، مثل ما وقع في أوروبا من قبل بين طبقة الأرستوقراطية، وخصيمتها البرجوازية، إذ وضعت الفئة المنتصرة تراث الفئة المنهزمة في «المتحف» (شرقي، ٢٠١٤: ١٨ - ١٩).

وبذلك جاء إنشاء تلك المتاحف الأثرية في الجزائر لتشويه مشهد المسار التّاريخي للمجتمع الجزائري، ومحاولة تحقيق ثلاث غايات أساسية على الأقلّ، وهي: وَأْد نخوة الجزائري، حتّى لا تكون له أية مقاومة مستقبلا لمشاريع الاحتلال، كما حاولت فرنسا تجسيدها في احتفالية ذكرى مرور مائة سنة على احتلالها للجزائر سنة (١٩٣٠)م بشكل يائس؛ اتخاذها كوسيلة دعائية لانتصار القوّة المحتلّة، ورفع معنويات جيشها ومستوطنيها أمام الأهالي، الذّين أصبح زعماء «المدرسة التّاريخية - الأثرية» الفرنسية ينعتونهم بالقصور الذّهني في إدارة شؤونهم الخاصة بلا تحرّج، المبني على نظرية التّفوّق العرْقي، المشبّع بها زعيم هذه المدرسة التّاريخية «ستيفين كزال» (GSELL, STEPHANE) (١٨٦٤ - ١٩٣٢)م، ومن حذا حذوه؛ اعتبارها بمثابة مركز لحفظ الأرشيف المادي لمن أراد أن يؤكّد فكرة «الظّل الأبدي»، أي قصور الإنسان المحلّي على الارتقاء بنفسه إلى بناء دولة مستقلّة، وتشييد حضارة خاصّة به، وحاجته الدّائمة للآخر في تسيير أموره (جوليان، ١٩٦٩: ٣٤ - ٣٥).

فنجاح روما بمنطق هذه المدرسة في «روْمنة» المنطقة وترويضها لبضعة قرون كاملة، دليل كافٍ لأن يُتخذ كمثال جدير بالاحتذاء من طرف فرنسا في الفترة المعاصرة «لفرْنسة» المنطقة هي الأخرى بدورها، كما حاولت تكريس ذلك في احتفالية (١٩٣٠) م بلا جدوى، حيث كانت بمثابة الشّرارة التّي أيقظت الضّمير الجمعي الجزائري، وهبّته الكاسحة للتّحرر.

خاتمة

إنّ غاية هذا المقال ليس الدّعوة إلى محاربة، أو تهميش «المتحف» في المشهد الثّقافي الجزائري، رغم بقاء الكثير من مؤسساته رهينة تلك التّقاليد، التّي لا تخدم المجتمع الجزائري وتراثه، كما يمكن تسجيل ذلك على مستوى خلل طُرق العرض، ونوعية المقتنيات المعروضة، وعلاقتها اليوم بمختلف فئات المجتمع الجزائري؛ وإنّما الدّعوة إلى ضرورة تصحيح مسارها، فالفرنسيون يكتبون ويقرأون من اليمين إلى اليسار، والجزائر تفكر، وتكتب في الاتجاه المعاكس، مادامت «المؤسسة المتحفية» اليوم، هي مؤسسة رائدة في الإشعاع العلمي، والثّقافي، والإعلامي، والتوجيهي،

أو التّعبوي؛ ولعلّ وضعها في قائمة أولى المنشآت المستهدفة، أثناء أزمة ستينيات القرن العشرين في أوروبا؛ والاجتياح الأمريكي للعراق (١٩٩٠، ٢٠٠٣)؛ وفي خضم أحداث ما عُرف باسم «الرّبيع العربي» بما فيها بعض متاحف الجزائر في عشرية التّسعينيات من القرن الماضي (متحف ناصر الدّين ديني ببوسعادة)، والاعتداء الأخير على مقتنيات «المتحف الوطني العمومي للآثار القديمة والفنون الإسلامية» في خضم احتجاجات «حَرَاك» (٢٠١٩)م، لأبلغ دليل على ذلك.

فالمتحف كما نرى، هو منشأة حضارية ليس بالوسع الاستغناء عن خدماتها في الوقت الرّاهن بالنّظر لقوّة تأثيرها في التّعبئة، وتهذيب النّفس البشرية، وغمرها بالقِيَم الإنسانية السّامية كتذوّق الجمال، واستيعاب معنى التّسامح، والتّعايش مع الآخر، وترسيخ مبادئ الحوار البنّاء، وتوطّيد قِيَم الانتماء الحضاري والثّقافي، ومرافقة الفرد في اكتشاف مواهبه الكامنة، وشحذ همّته، ومرافقته في رحلة الإبداع والابتكار الخلاّق في مختلف مناحي الفنون، ودروب المعرفة، والآداب؛ فضلا عن حفظ وتثمين التّراث الثّقافي والطّبيعي بمختلف مكوّناته المتنوّعة، وتأمّين وصوله للأجيال القادمة في أفضل حلّة ممكنة[١٩].

شيبان يمينة: قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، الجزائر.

أ. د. شرقي الرزقي: قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، الجزائر.

الهوامش:

(١) ينظر: المرسوم رقم ٨٥ – ٢٧٧ المؤرّخ في ٢٩ صفر (١٤٠٦)هـ، الموافق ١٢ نوفمبر سنة (١٩٨٥)م، يحدد القانون الأساسي النّموذجي للمتاحف الوطنية، في: الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية، الصّادرة بتاريخ يوم الأربعاء ٣٠ صفر عام (١٤٠٦)هـ، الموافق ١٣ نوفمبر (١٩٨٥)م، ص ١٧٢٦ – ١٧٢٨.

(٢) ينظر: المرسوم التّنفيذي رقم ٠٧ – ١٦٠ المؤرّخ في ١٠ جمادى الأولى (١٤٢٨)هـ، الموافق ٢٧ مايو سنة (٢٠٠٧)م، يحدد شروط إنشاء المتاحف ومهامها وتنظيها وسَيّرها، في: الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: ٣٦، الصّادرة بتاريخ يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى عام (١٤٢٨) هـ، الموافق ٣ يونيو (٢٠٠٧)م، ص ٩ عمود ٢ – ١٤ عمود ٢.

(٣) ينظر: المرسوم التّنفيذي رقم ١١ – ٣٥٢ المؤرّخ في ٧ ذي القعدة (١٤٣٢)هـ، الموافق ٥ أكتوبر سنة (٢٠١١)م، يحدد القانون الأساسي النّموذجي للمتاحف ومراكز التّفسير ذات الطّابع المتحفي، في: الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: ٥٦، الصّادرة بتاريخ يوم الأحد ١٨ ذو القعدةعام (١٤٣٢)هـ، الموافق ١٦ أكتوبر (٢٠١١)م، ص ٥ عمود ٢ – ١٠ عمود ١.

(٤) سياسي فرنسي محنّك، اسمه الكامل «ماري ستانيلا هيكتور بروسون»، وُلد في ١٥ فبراير سنة (١٧٩٤)م، وتوفي في ١٣ مايو (١٨٤٣)م بالعاصمة الفرنسية باريس. تقلّد عدّة مناصب سياسية وإدارية بفرنسا والجزائر، منها نائب في المجلس الوطني الشّعبي (البرلمان) بفرنسا، ومنصب الملحق المدني بالجزائر منذ سنة (١٨٣٣)م، ثمّ مدير عام للغابات في سنة (١٨٤٠)م، فقد بذل قصارى جهده لإنشاء ذلك المتحف المبكّر، كما يدلّ عليه وقوع هذا الأخير في ضائقة مالية أفضت إلى حلّه، وبيع مقتنياته في المزاد العلني بالفرنك الفرنسي الرّمزي بعد تخلّيه عن دعمه، أكثر تفاصيل حول سيرته الذّاتية، والتّاريخ المضطرب لهذا المتحف يُنظر: درياس (لخضر)، «كلمة الافتتاح»، في: حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد: ٠٦ (عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالذّكرى المئوية لتدشين المتحف الوطني للآثار – ١٨٩٧ – ١٩٩٧)، ص ٣ – ٩؛ BERBRUGGER (A), Bibliothèque-Musée d'Alger, édition Bastide, Alger, 1861, pp 6 - 16.

(٥) المشير «سول جين دو ديو» (١٧٦٩ – ١٨٥١)، أحد الشّخصيات العسكرية البارزة في الجيش الفرنسي، عيّنة الملك «لويس فيليب» على رأس وزارة الحرب بمجرّد اعتلائه العرش الفرنسي في صائفة عام (١٨٣٠)، فقد استمرّ في منصبه إلى غاية سنة (١٨٣٤)، تاريخ استدعائه إلى مهام أخرى، أكثر تفاصيل حول ترجمته الكاملة، ينظر الموقع الإلكتروني الآتي: https://www.napoleon.org/histoire-des-2-empires/biographies/soult-jean-de-dieu-duc-de-dalmatie-1769-1851-marechal-de-france/.

(٦) سوف تنقسم هذه المؤسسة «مكتبة – متحف» مدينة الجزائر في وقت لاحق، وتُسفر عن ميلاد: «المكتبة الوطنية» اليوم، و«المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، والفنون الإسلامية»، فقد يقع مقرّ المكتبة بالحامّة، والمتحف بحديقة الحرّية في مدينة الجزائر العاصمة.

(٧) هي مبادرة علمية – استكشافية تشبه إلى حدّ بعيد مبادرة علماء القائد العسكري الفرنسي الشّهير «نابليون بونبرت» (NAPOLEON

BONAPARTE) (١٧٦٩ – ١٨٢١)م، أثناء حملته على مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١)م، وحملة فرنسا لنجدة اليونان (١٨٢٩ – ١٨٣٠)م في ثورتها الانفصالية عن حكم العثمانيين؛ فقد غطّت مختلف الجوانب الحضارية والطّبيعية للبلاد بما فيها الاستكشاف الأثري والمعماري بإشراف المهندس المعماري «أمابل رافوازيه» (RAVOISIE AMABLE) (١٨٠١ – ١٨٦٧)، وضابط المدفعية الفرنسية بالجزائر النّقيب «أدولف، هدويج ألفونس. دولامار» (DELAMARE ADOLPHE HEDWIGE ALPHONSE) (١٧٩٣ – ١٨٦١)، قبل تدوين ونشر نتائج تلك البحوث الميدانية في ٣٩ مجلّدا ضخما على نسق كتاب «وصف مصر» (DESCRIPTION DE L'EGYPTE)؛ خُصّص منها ثلاثة مجلدات لإنجازات «رافوازيه»، ومجلّد واحد لإنجازات زميله ضابط المدفعية «دولامار».

(٨) اسمه الكامل «أنطوان أرنست إبوليت كاريت»، ولد في ٢٣ مايو (١٨٠٨)م، وتوفي في ٢٤ يناير (١٨٨٩)م بفرساي في الضّاحية الجنوبية من مدينة باريس، باحث ومؤرخ عسكري برتبة نقيب في صفوف الجيش الفرنسي، شارك في بعثة الاسكشاف العلمي للجزائر منذ انطلاقة حملتها في صائفة (١٨٤٠)م؛ له عدّة مؤلفات حول الجزائر، تركّزت اهتمامت موضوعاتها حول استقصاء الجوانب الثّقافية، والسّياسية، والاقتصادية للبلاد؛ كما شغل منصب حاكم عام لعَمَالة قسنطينة (ولاية الشّرق الجزائري)، ابتداءً من سنة (١٨٥٠)م. أكثر تفاصيل حول سيرته، يُنظر: Groupe d'Auteurs, Annuaire des Voyages et de la Géographie pour l'Année 1845, Sous la Direction de M. Frédéric LACROIX, Année 02, Editeur Cid et Cie, Paris, 1845; Les Capitaines du Génie ROZET (C. A), CARETTE (A. E. H) & autres, Algérie, Etats Tripolitaines, Tunis, Firmin didot fréres .Editeurs, Paris, 1850

(٩) هو الأمير «نابليون جوزيف شارل بول بونابرت»، ولد في ٠٩ سبتمبر (١٨٢٢)م، وتوفي في ١٧ مارس (١٨٩١)م بروما، اشتهر بلقب «الأمير جيروم»، ينحدر من أصول عائلة حاكمة عريقة، وقد تميّز بشخصيته السّياسية والعسكرية الحازمة، وكان من جملة المناصب العديدة التّي تقلّدها في مساره المهني الحافل، منصب وزير مستعمرة الجزائر ضمن طاقم الحكومة الفرنسية، ينظر الموسوعة الإلكترونية «وكيبيديا» على سبيل الذّكر لا التّخصيص والحصر.

(١٠)المقصود بمصطلح «المتاحف المحلّية» هو «متاحف المواقع الأثرية القديمة» في ظلّ الاحتلال؛ ومصطلح «المتاحف المركزية» هو المتاحف المنشأة على مستوى العاصمة في تلك الفترة دائما، ولها الصّبغة الوطنية من حيث المقتنيات، لكن في غياب السّيدة الوطنية عليها، منحتها إدارة الاحتلال تسمية «المتاحف المركزية». أمّا «المتاحف الوطنية العمومية» فهي مصطلح أستخدم في ظلّ الاستقلال الوطني فقط للتّعبير عن المتاحف التّابعة للقطاع العام، وتكتسي مقتنياتها أهمية وطنية.

(١١)إشارة إلى ردّ فعل الدّاي حسين، آخر دايات الجزائر في ظلّ الحكم العثماني (١٨١٨ – ١٨٣٠)م على جواب قنصل فرنسا بالجزائر المستفزّ، والمقلّل من شأنه، لمّا طلب منه إبلاغ حكومة فرنسا بضرورة دفع دُيونها المستحقة للجزائر من غير مماطلة، وهو ما اضطرّه للتّلويح بمروحة كانت في يده في وجه القنصل الفرنسي، إشارة منه لانتهاء الكلام، وموعد الاستقبال.

(١٢)يمكن الإشارة في هذا المقام، إلى كون جلّ تلك الممتلكات، مكوّنة في بادئ الأمر من ممتلكات الأوْقاف، وممتلكات الغائبين، وممتلكات المتوفين، قبل توسيع القائمة تدريجيا مع مرور الوقت إلى بقية مختلف أشكال الملكيات المعروفة في العرف الجزائري آنذاك.

(١٣)Dossier recherches d'objets précieux, Fonds ministériels, F 80. 1587: Sciences et arts; Archéologie, histoire, musées, voyages, 1831 - 1858, In: Archives du gouvernement général de l'Algérie (GGA), conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, France.

(١٤)ما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام، هو تعارض الرّؤية العلمية، التّي تبنّتها تلك الأكاديمية منذ عام (١٨٣٣) مع نظرة السّاسة والقادة العسكريين، المتذبذبة بحسب تذبذب، وتقلّب الظّروف، ممّا أفضى إلى تدهور العلاقة بين الطّرفين، وتشنّجها على مدار بضعة عقود كاملة، لمزيد من التّوضيحات، ينظر: OULEBSIR, 2004: 51 - 53, 99 - 102, 115 - 116, 340

(١٥)ولد بفرساي (VERSAILLES) الواقعة في الضّاحية الجنوبية من العاصمة الفرنسية (باريس)، يوم ٢٦ أغشت ١٨٠٢، وتوفي هناك في سنة ١٨٧١، أكثر تفاصيل حول سيرته الذّاتية، ينظر: OULEBSIR, 2004: 342 col 2 - 343 col 1

(١٦)(١٦) ولد في مدينة باريس يوم ٢٨ سبتمبر ١٨٠٣، وتوفي بمدينة «كان» (CANNES) يوم ٢٣ سبتمبر ١٨٧٠، وهو ثاني شخص يتقلّد منصب «المفتش العام للمعالم التّاريخية» المستحدث بفرنسا لأوّل مرّة سنة ١٨٣٠م، حيث تقلّده في شهر يونيو من عام ١٨٣٤، أكثر تفاصيل ينظر: Dossier Personnel de Prosper Mérimée, Conservés à la Médiathèque d'Architecture et du Patrimoine, Charenton-le-Pont, Paris, Boite d'archives .N° 80 /11/ 1; OULEBSIR, 2004: 339 colonne 2 - 340 colonne 2

(١٧)يحتفظ مركز الأرشيف الوطني الفرنسي (CENTRE DES ARCHIVES NATINALES) «بيير فيت» في الضّاحية الشّمالية (سان دوني) من مدينة باريس بعلبة أرشيف تحمل رقم: F/١٧/١٣٥٢٠ تتضمّن ملفا إداريا ضخما حول الوضعية الإدارية لمكتبة – متحف مدينة الجزائر في الفترة الممتدة ما بين (١٨٤٦ – ١٨٨٠)، تمّ إطلاعنا عليه، ونسخه سنة (٢٠١٥).

(١٨)يُنظر ترجمته في ملحق التّراجم لدى: OULEBSIR, 2004, pp 323, colonne 2 - 324 colonne 1

(١٩)شرقي (الرزقي)، «المتحف»، في: موسوعة الفن الإسلامي، إشراف فتحي حسن ملكاوي، إدهام محمد حنش، رائد جميل عكاشة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (قيد الطّبع).

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

أبـو القاسـم، سـعد اللّه،١٩٩٢، **الحركة الوطنيـة الجزائريـة** (١٨٣٠ - ١٩٠٠)م، دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت، لبنـان، الطّبعـة الأولـى، الجـزء الأوّل.

بوعزيـز، يحيـى، ٢٠٠٧، **سياسـة التّسلط الاسـتعماري والحركة الوطنية الجزائرية** (١٨٣٠ - ١٩٥٤)م، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة، الجزائـر.

دريـاس، لخضـر، ١٩٩٧، «كلمـة الافتتـاح»، في: **حوليات المتحف الوطني للآثار**، العـدد: ٠٦ (عـدد خـاص بمناسـبة الاحتفـال بالذّكـرى المئويـة لتدشـين المتحـف الوطنـي للآثـار - ١٨٩٧ - ١٩٩٧)، ص ٣ - ٩.

شـارل أنـدري، جوليـان، ١٩٦٩، **تاريـخ إفريقيـا الشّماليـة**، تعريـب: محمـد مزالـي، والبشـير بـن سـلامة، الـدّار التّونسـية للنّشـر، تونـس بالاشـتراك مـع الشّـركة الوطنيـة للنّشـر والتّوزيـع، الجزائـر.

شـرقي، الرزقـي، ٢٠١٣، «المكتبتـان الملكيتـان بجامـع مدينـة تلمسـان (دراسـة توثيقيـة)»، في مجلّة: **آثار**، مجلّة علميـة سـنوية يصدرهـا معهـد الآثـار، جامعـة الجزائـر ٢، العـدد: ١٠، ص ١٨٣ - ١٩٣.

شـرقي، الرزقـي، ٢٠١٤، **فصول في علم المتاحف**، دار الألمعيـة للفنـون المطبعيـة، قسـنطينة، الطّبعـة الأولـى.

شـرقي، الرزقـي، ٢٠١٦، «توظّيـف المقاربـة الأثريـة في تأريـخ المقاومـات الشّـعبية والثّـورة التّحريريـة (توجيهـات منهجيـة)»، في: مجلّة: **المصادر**، الصّـادرة عـن المركـز الوطنـي للبحـث في الحركـة الوطنيـة وثـورة الفـاتح نوفمبـر (١٩٥٤)م، العـدد: ١٥، ص ١٤٣ - ١٦٠.

شـرقي، الرزقـي، «المتحـف»، في: **موسـوعة الفـن الإسـلامي**، إشـراف فتحـي حسـن ملـكاوي، إدهـام محمـد حنـش، رائـد جميـل عكاشـة، المعهـد العالمـي للفكـر الإسـلامي (قيـد الطّبـع).

ثانياً: المراجع غير العربية

Berbrugger. A. 1856. «Introduction», **Revue Africaine**, Editeur Adolphe JOURDAN, Alger, Volume 01, pp 3 - 11.

Berbrugger. A. 1861. **Bibliothèque-Musée d'Alger**, édition Bastide, Alger.

Collection des actes du Gouvernement depuis l'occupation d'Alger, 1843, Paris, tome 1: jusqu'au 1er Octobre 1834, N° 116, pp 155 - 156.

Dailheu. E. 1901. **Le Gouvernement Politique de L'Algérie**, Thèse de Doctorat, Faculté de droit, Université de Paris, Imprimeries CERF, Versailles.

Dondin Payre. M. «La commission d'exploration scientifique d'Algérie, une héritière méconnue de la commission d'Egypte», In: Institut de France, **Mémoires de l'académie des inscriptions et des belles lettres**, Tome 14, Imprimerie PAILLART / DIFFUSION BOCCARD, Paris, 1994.

Dossier Personnel de Prosper Mérimée, Conservés à la Médiathèque d'Architecture et du Patrimoine, Charenton-le-Pont, Paris, **Boite d'archives N° 80 /11/ 1.**

Dossier recherches d'objets précieux, Fonds ministériels, F 80. 1587: Sciences et arts; Archéologie, histoire, musées, voyages, **Archives du gouvernement général de l'Algérie** 1831 - 1858, In: **(GGA)**, conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, France.

Gauckler. P. 1895. **Musée de Cherchell,** Série Musées et Collections Archéologiques de l'Algérie, et de la Tunisie, éditeur LEROUX Ernest, Paris.

Groupe d'Auteurs. 1845. **Annuaire des Voyages et de la Géographie pour l'Année 1845**, Sous la Direction de M. Frédéric LACROIX, Editeur Cid et Cie, Paris, Année 02.

Koumas. A. & Nafa. C. 2003. **l'Algérie et son Patrimoine: Dessins Français du 19ème Siècle**, Edition du Patrimoine, Paris.

Leschi. L. 1945. «L'Archéologie Algérienne en 1944», **Revue Africaine**, Editeur Office des publications universitaires, Alger, Volume 89, pp 131 - 134.

Marye. G. & Wierzejski. J. 1899. **Catalogue illustré du Musée National des Antiquités Algériennes**, Léon Edition, Alger.

Oulebsir. N. 2000. **La Construction du Patrimoine en Algérie de la Conquête au Centenaire (1830- 1930),** Thèse de Doctorat en Histoire et Civilisation, Ecole des Hautes Etudes en Science, Paris.

Oulebsir. N. 2004. **Les usages du patrimoine monuments, musées et politique coloniale en Algérie (1830 - 1930)**, éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris.

Rozet. C. A. Carette. A. E. H & autres. 1850 **Algérie, Etats Tripolitains, Tunis**, Firmin didot fréres Editeurs, Paris.

Texier. C. 1846. «Extrait d'un aperçu statistique des monuments de l'Algérie», **Revue Archéologique**, Presses universitaires de France, 3ème année, n° 2, (15 Octobre 1846 - 15 Mars 1847), pp 724 - 735.

Texier. C. 1848. «Exploration de la province de Constantine et des ZIBANS», **Revue Archéologique**, Presses universitaires de France, 5ème année, n° 1, (15 Avril 1847 - 15 septembre 1848), pp 129 - 135.

https://www.napoleon.org/histoire-des-2-empires/biographies/soult-jean-de-dieu-duc-de-dalmatie-1769-1851-marechal-de-france/